ونُطْتَ بي المصاعبَ فاستقادَتْ مطاوعةً وكان بها امتِناعُ
وأيُّ كريهةٍ لم أُبْلِ فيها وغُنْمٍ لم يكنْ لي فيه باعُ ؟
ولم تعثُرْ بحمدِ الله منِّي على عَيْبٍ يُكتَّمُ أو يُذاعُ
فإنِّي ساءَ عندكَ نبْذُ عهدي كما نَبُذَتْ برايتِها الصِّناعُ
ولِمْ سامحتْ نفسُكَ بامتهاني وأن أُشْرى كما يُشرى المتاعُ ؟
وهلاَّ صُنْتَ عِرْضي عنه صوني حديثَكَ يومَ جدَّ بنا الوداعُ ؟
وقلتَ لمَنْ يُساوِمُ فيَّ : هذا سِكابُ[1] فما يُعارُ ولا يُباعُ
فما أنا دونَ ذاكَ الطَّرف[2] لكنْ طِباعُكَ فوقَها تلكَ الطِّباعُ
على أنِّي سأُنشدُ عندِ بيعي (أضاعوني وأيُّ فتىً أضاعوا[3])[*]

* * *

أجهادٌ أم رباط ؟ ؟

عبد الله بن علي الملقب بالسفاح : قضى على دولة الأمويين وتسلّم الخلافة ، عاصره الإمام الأوزاعي[4] : وكان جريئاً لا يخاف في الله لومة لائم .

---

(١) سكاب : اسم فرس مشهور .
(٢) الطرف : الفرس الكريم .
(٣) صدر بيت للعرجي الشاعر الأموي المشهور ، وتمامه :
(أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهةٍ وسداد ثغر)
(*) من مختارات نعمة الله الجزائري في كتابه : فروق اللغات ٣٠٧ .
(٤) هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الدمشقي ، الحافظ الفقيه ، قال الحاكم : إنه إمام عصره عموماً وأهل الشام خصوصاً ، ت (١٥٧ هـ) .
[التذكرة : ١/ ١٧٨] .

ما إن تولى السفاح الخلافة حتى طلب الأوزاعي إلى مجلسه ، يقول الإمام :

حضرت فإذا عن يمينه رجال يصلتون السيوف وعن يساره كذلك .

فقال السفاح : يا أوزاعي ، ما ترى فيما صنعناه من إزالة الظلمة أجهاد هو أم رباط ؟

قلت : قال رسول الله ﷺ :

« إنَّما الأعمالُ بالنيَّاتِ ، وإنَّ لكلِّ امرىءٍ ما نوى ، فمَنْ كانت هِجرتُهُ إلى الله ورسولِه فهِجرتُهُ إلى الله ورسولِه ، ومَنْ كانت هِجرتُهُ لدُنيا يُصيبُها أو امرأةٍ يتزوَّجُها فهِجرَتُهُ إلى ما هاجَرَ إليه » .

قال : ما تقول في دماء بني أمية ؟

قلت : قال رسول الله ﷺ :

« لا يحلُّ دَمُ امرىءٍ مسلمٍ إلا بإحدى ثلاث ، النَّفْسُ بالنَّفْسِ ، والثَّيِّبُ الزَّاني ، والتارِكُ لدينه المُفارِقُ للجماعَةِ » .

قال : ما تقول في أموالهم ؟

قلت : إن كانت في أيديهم حراماً فهي حرام عليك ، وإن كانت حلالاً فلا تحلُّ لكَ إلا بطريق شرعي .

قال ـ وقد غضب أشد الغضب ـ : ألا نولِّيكَ القضاء ؟

قلت : أسلافُكَ لم يكونوا يشقُّون عليَّ في ذلك ، وأحبُّ أن تتمَّ ذلك .

قال : كأنك تريد أن تنصرف ؟

قلت : بلى .

وكان الجالسون ينتظرون سقوط رأسي على الأرض!!

وأمرني السفاح بالانصراف[1] .

* * *

العافية والمصيبة :

« جلس أحد الملوك مع غلام أعجمي في مركب ، ومعهما غلام آخر لم يكن قد رأى البحر ، ولم يجرِّب ركوب البحر .

فأخذ في البكاء والعويل وقد أخذه الارتعاش ، فلاطفوه ما أمكن فلم يهدأ . وتنغَّص عيش الملك بسببه ، ولم يعلموا وسيلةً لتسكينه .

وكان في المركب رجل حكيم فقال للملك :

إن تأمر فأنا أستطيع تهدئته بأسلوب ما!!

أجابه الملك : هذا منتهى اللطف والكرم .

فأمر بإلقاء الغلام في البحر ، فانقلب في الماء عدة مرات ، ثم جذبوه من رأسه نحو المركب ، فأمسك بكلتا يديه بالدفَّة حتى صعد وجلس في زاوية المركب بكل هدوء!!

تعجَّب الملك لذلك وسأل : أين الحكمة في ذلك ؟

قال الحكيم : إنه لم يعرف معنى الغرق في الماء ، لذلك لم يُقدِّر نعمة الوجود في المركب ، وهكذا لا يدري الإنسان قدر العافية ما لم يبتل بالمصيبة »[2] .

---

(١) من مجلة العربي عدد ٧١ : الأوزاعي فقيه الشام .

(٢) من (كلستان) : روضة الورد : سعدي الشيرازي .

والشيرازي : هو الشيخ مشرف الدين بن مصلح السعدي ، أحد النجوم اللامعة =